« ا »

فى ملاحظات ثانية تحدث الدكتور طه عن علاقة الأدب العربى بالمجتمع ، وتحدث عن اصطناع التحليل النفسى فى تفسير الأدب العربى القديم . ومن الواضح أن الدكتور طه كان حريصا على أن يقول إن الأدب العربى مؤثر فى حياة المجتمع ، وإن كنا ـ حتى الآن ـ لانملك الأدوات الكافية لبيان هذا التأثير . وقد دأب الكثيرون على أن يتصوروا ظروف المجتمع ـ وهذه عبارة غامضة ـ هى المضمون الباطنى للنصوص . وهذا غير صحيح ، فالمجتمع يلقى إلى الأدباء مايفكرون فيه ، ولكن نتاج هذا التفكير وطبيعته من صنع الأدباء أنفسهم ، أو هو الإهداء الذى يقدمه الأديب لمجتمعه . وعلى هذا النحو كان طه يرى أن من واجب الدارس أن يختط طريقين اثنين : فى الطريق الأول يتحدث عن إثارة المجتمع للأديب ، وفى الطريق الثانى يتحدث عن استجابة الأديب لهذه الإثارة استجابة تباعد بينه وبين الإثارة مسافة ما . وقد يشار هنا ـ إلى ملاحظات طه عن نشأة الغزل . وكيف لاحظ أولا أن العراق والشام كانا مجتمع الحياة السياسية ، فالشام مستقر الخلافة ، والعراق مستقر المعارضة . ولذلك وجدنا فيهما الشعر العادى والشعر السياسى الذى تناضل فيه الأحزاب . أما الغزل فكان صنيعة الحجاز ومايليه من البادية ، فالحجاز لم يكن مستقر الحياة العاملة المنتجة ، ولا مستقر الخصومات الواضحة ، وإنما كان مستقر الثروة والغنى ، ذلك الغنى الذى لايصاحبه نشاط فعال . وها هنا يتصور طه أنه محتاج إلى أن يترجم هذا إلى لغة نفسية ، فيزعم أن النفوس أحست شيئا من الحزن واليأس غير قليل ، أو أن الناس يرجعون إلى أنفسهم أكثر جدا مما يتجهون إلى خارجها . هذه الترجمة النفسية من صنع طه ، وهى الباب الذى يدخل منه على مانسميه باسم الغزل ، فالغزل بهذا المعنى ليس مجرد عاطفة شخصية وإنما هو باب الخروج من أزمة اجتماعية .

هذه الظروف الاجتماعية التى تشكل مانسميه باسم الأزمات متميزة من طبيعة الشعر ذاته . ولننظر ـ مثلا ـ فيما يقوله عن عمر بن أبى ربيعة ، يقول إن شعر عمر بن أبى